﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ منَ التَّرهيبِ والوعيدِ إلى التَّرغيب والوعدِ

بعد أن بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ موقفَ القرآنِ من مُنكري نبوَّة محمّدٍ ﷺ، وصدقِ القرآن الكريم، والرَّدِّ على مطاعنِهم في ذلك؛ ناسبَ أن يشرعَ في ترغيب المخاطَبين، في بيانِ إنزال كتابٍ فيه مَجْدُ العرب وعِزُّهم؛ ليعقلوا الأمرَ، ويعلموا ما بعد الإنزال منَ الخير العميمِ، والصَّلاحِ الواسع.

وهذه الآيةُ مناسبةٌ للرَّدِّ على طلبِهمُ المعجزةَ، فمعجزةُ القرآن هي أعظمُ معجزةٍ أنزلها اللّهُ تعالى على رسولٍ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كِتَٰبًا﴾: الكتابُ في الأصل مصدرُ كَتَبَ، يكتبُ، ثمّ غلب على المَكتوب، وسُمّي القرآنُ وغيرُه منَ الكتبِ المُنَزّلةِ بذلك؛ لأنّه يُكتَبُ، أي: يُضَمُّ بعضُه لبعض، ويُجمعُ بين دُفّتين، والكَتْبُ: الضَّمُّ[1]، والمقصودُ بالكتاب القرآنُ الكريمُ.

2) ﴿ذِكْرُكُمْ﴾: مصدرٌ أُضيفَ إلى ضمير جمع المُخاطَبين، وأصلُه منَ الفعل ذَكَر يَذْكُر ذِكْرًا، والذِّكْر مصدرٌ منَ الشّرف والمَجْد، ففي القرآن مجدُهمُ الأثيلُ، وشرفُهمُ النّبيلُ، وكذلك في القرآن شرفٌ ومَجدٌ لكلِّ مَن آمن به، وعملَ به من عُربٍ وعَجم، ففيه التّذكيرُ الدّائمُ، والمواعظُ المُتجدِّدةُ، يُذَكّر بكلّ ما هو جديرٌ بالتّذكير من أمور المعاد والمعاش، وكلِّ ما فيه نجاةُ الإنسان وصلاحُه وفلاحُه

(1) الرّاغب، المفردات: (كتب).

في الدّارَين[1]، وقيل: معنى ﴿ذِكۡرُكُمۡۖ﴾: موعظتُكم، فالذِّكْرُ بمعنى التّذكير مضافٌ للمفعول[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

القرآنُ شرفُ الأُمَّة ومجدُها، وموعظتُها وتذكيرُها

تُؤكِدُ الآيةُ بأسلوب القَسَم أنّ اللّهَ تعالى أنزل على هذه الأُمَّة كتابًا فيه مجدُها وشرُفها وموعظتُها؛ التي تُنجيها منَ النّار، والآية تدعو المخاطَبين إلى عقلِ ذلك وفهمِه والعملِ بمقتضاه، وتركِ العِناد المُفضي إلى الهلاك في الدّارَين.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآيةِ:

إنزالُ الكتابِ جوابٌ عمّا طلبوه منَ المعجزاتِ

هذه الجملةُ مفصولةٌ عمّا قبلَها؛ لأنّها مستأنفةٌ لبيان حقيقة القرآن بعد نفيِ أوهامهم وافتراءاتِهم عليه، أي: إن سألَ سائلٌ عن معجزةِ رسول اللّه ﷺ؛ فالجواب: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ﴾؛ فهي "استئنافٌ، جوابٌ عن قولهم: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾"[3].

بلاغةُ التّوكيدِ في صدرِ الآية:

يحسُنُ التّوكيدُ معَ المُنكرِ حتّى يتيقّنَ

افتتحتِ الآيةُ بالتّوكيدِ في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ﴾، وذلك باللّام الواقعةِ في جواب قسمٍ محذوفٍ، جيء به على سبيل التّوكيد؛ لأنَّ مثلَ هذه القِصَّة يمكنُ أن يبهتوا في إنكارها[4]، وبأداة (قد) الدّاخلةِ على الفعل الماضي ﴿أَنزَلۡنَآ﴾؛ لإفادة معنَى التّحقّق والثّبوتِ، ولتأكيد كونِ القرآن فيه شرفُهم وتذكيرُهم.

نُكْتَةُ إسنادِ فعلِ الإنزال إلى الضّمير:

تكريمُ الرّسالة وتشريفُ الرّسول وتعظيمُ الإرسال

أُسندَ فعلُ الإنزال إلى ضمير العَظَمة ﴿أَنزَلۡنَآ﴾؛ لتكريم المُنزَلِ وهو

(1) مكّيّ، الهداية إلى بلوغ النهاية: 7/ 4733، والجرجانيّ، درج الدّرر: 3/ 1216، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 75.

(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 179.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 21.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 396.

القرآنُ الكريمُ، وتعظيمِ شأنِ الإنزال؛ لأنّه بواسطة أمين الوحيِ جبريلَ مُقَدَّمِ الملائكةِ، وتشريفِ شأنِ مَن نزل عليه الوحيُ نبيِّنا ﷺ، وتكريمِ الأُمَّة التي لأجلها أنزل اللّهُ تعالى كتابًا فيه ذِكْرُها ومجدُها وعِظتُها.

بلاغةُ التَّضمينِ في فعل الإنزالِ:

العبرةُ بالإنزال الذي يتلوه إيصالٌ فيه مكرماتٌ

تعدَّى فعلُ الإنزال بحرف (إلى)؛ لتضمين الإنزال معنى الإيصال، أي: وصَّلناه إليكم، وفيه اعتناءٌ بهم، وتيسيرٌ عليهم، بأنَّ الحَقّ بين أيديهم، ولن يتجشَّموا الصِّعابَ في البحث عنه، فالغايةُ ليست مُجرَّدَ إنزالٍ، بل إنزالٌ يتلوه إيصالٌ؛ لتَحْصُلَ المكرماتُ.

غرَضُ تقديمِ شبه الجملةِ على المفعول:

تكريمُ المخاطَبين وتأليفُ قلوبِهم من غايات النَّظمِ الكريمِ

قُدِّم الجارُّ والمَجرور ﴿إِلَيْكُمْ﴾ على المفعول ﴿كِتَبًا﴾؛ للاهتمام، فإنَّ جَعْلَ المخاطَب غايةَ الإنزال، فيه تكريمٌ لا تُدرِكُ كُنهَهُ القلوبُ الطّاهرةُ ولا العقولُ البارَّة، كما أنَّ فيه تأليفًا لقلوبهم، وترغيبًا لهم، وتشويقًا للمُؤخَّر وهو ﴿كِتَبًا﴾، فإنَّ معرفةَ النّازلِ بعد ذِكْر كونِ الإنزال إليهم يقعُ في النَّفس موقعَ القَبولِ، وقد نُكِّر ﴿كِتَبًا﴾ للتّفخيم والتّعظيم، أي: كتابًا عظيمًا جليلَ الشَّأن، رفيعَ المنزلةِ، كريمَ المكانةِ، عزيزَ الدّرجة.

دلالةُ مجيءِ صفةِ الكتابِ جملةً اسميَّةً:

ثبوتُ الموعظةِ والمَجدِ في ثنايا الكتابِ

جاءت صفةُ ﴿كِتَبًا﴾ جملةً اسميَّةً ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وهي صفةٌ مؤكِّدةٌ لِما أفاده التّنكيرُ التّفخيميُّ من كونه جليلَ القدر، جميلَ الآثار، مستجلبًا لهم منافعَ جليلةً[1]؛ لتدلَّ على ثبات هذا المعنى، أي: فيه ما يُوجِبُ الثّناءَ عليكم؛ لكونِه نازلًا بلسانكم وبينَ ظهرانَيْكُم وعلى رسولٍ منكم، وفيه ما تنشدونَه من حُسْن الذِّكر، وبُعْدِ الصّيت، وطيبِ الأُحدوثة، وفيه الموعظةُ لكم، والإرشادُ لِما ينفعُكم في دينكم

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 15.

ودنياكم[1]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ هذا الذِّكرَ ماكثٌ في ثنايا الكتاب، ثابتٌ في سُطورِه لا يحيدُ، وعلى العاقل أن يبحث عنها بعقلٍ متفتّحٍ، وقلبٍ مُقْبِل.

فائدةُ تقديمِ شِبه الجُملةِ:

استنشاطُ الهِمَمِ لاستنباطِ الدُّرَر والقيَم

استعملَ النَّظمُ الكريمُ حرفَ الظَّرفيَّة ﴿فِيهِ﴾؛ لبيانِ أنَّ ذِكْرَهم منَ الموعظة والمَجد والشَّرف والعِزَّة في الكتاب، وهو يحتاجُ منهم إلى النَّظر والتَّدبُّر والتَّأمّل لاستخراجه والعمل بمقتضاه، ويُفيدهذا الحرف في سياق النظم الدَّعوةُ لاستنشاط الهِمم في استنباط المعاني والهداياتِ والقيَم.

وأفاد استعمال حرف الظرفية (في) شمول وجود كلّ ما يتعلّق بذكرهم وأخبارهم في آياته وبيّناته.

نُكْتَةُ إضافةِ الذِّكرِ إلى ضميرهم:

استمالةٌ لكلّ من أقبل، وعتاب لكلّ من أدبر

أُضيفَ الذِّكرُ إلى ضمير المخاطَبين ﴿ذِكْرُكُمْ﴾؛ للاعتناء بهم، ورعايةِ قلوبهم، وتطريةِ أذهانهم، فهو ذكرُهم لا ذِكْرُ غيرِهم؛ فإنَّ إشعار المخاطَب بالخصوصيّة يستميل قلبَه، ويُطيِّبُ خاطرَه، كما أنَّ فيه عتابًا شديدًا لمن أعرض عنه، وهو الذي سيُخرجهم منَ الظُّلمات إلى النُّور، ويُرشحُ هذا العتابَ الشَّديدَ، والتَّأنيبَ البليغَ قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، كما أنَّ فيه إيماءً إلى أنَّه سيكونُ ذِكْرَهم، وقد كان، وهذا من بديع إشاراتِ الإعجازِ الغيبيِّ.

معنَى الفاء ودلالتُها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إمّا أنَّها عطفٌ على مقدَّرٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: "(ألا تتفكرون فلا تعقلون) أنّ الأمرَ كذلك؟!

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 289.

أولا تعقلونَ شيئًا منَ الأشياء التي من جملتها ما ذُكِر؟"[1]، أوِ التَّفريع على متقدّم.

بلاغةُ الاستفهام ونوعُه وغَرضُه:

دعـوةٌ للتّعقّل، ونَـعـيٌ عـلى مَـن لم يتعقّلْ

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إنكاريٌّ توبيخيٌّ[2]؛ "فإنَّ مَنْ جاءَه ما به هَدْيُهُ فلم يَهْتَدِ يُنْكَرُ عليه سُوءُ عقله، ومَن جاءَه ما به مَجْدُه وسُمعَتُه فلم يعبأ به، يُنْكَرُ عليه سُوءُ قدرِه للأمور حَقَّ قَدْرِها، كما يكون الفضلُ في مثله مضاعفًا"[3]، وغرضُه التّحريضُ والتّحضيضُ على التّعقُّل في أمر القرآن؛ للانتفاع بهديه، والإقبالِ على مقاصده ومعانيه.

نُكْتَةُ التّعبير بصيغة المضارعِ ﴿تَعْقِلُونَ﴾، وحذفِ متعلّقِه:

مناسبةُ المطلوبِ مـنَ المخاطَـبين في الـحـاضـر والمستقبلِ

اختار النَّظمُ الكريم التّعبيرَ بصيغةِ المُضارع ﴿تَعْقِلُونَ﴾؛ لترشيح الحَضّ والتّحريض والحَثِّ على عَقْلِ ما في القرآن الكريم منَ الهُدَى والرّحمة، فإنَّ صيغةَ المضارع يدخلُ فيها الزَّمنُ الحاضرُ والمستقبل، وعقلُ أولئك مطلوبٌ في الحاضر والمستقبل، فجاءت هذه الصّيغةُ مناسبةً لواقع المُخاطَبين.

وقد حُذِف متعلّقُ فعلِ ﴿تَعْقِلُونَ﴾ إمّا لتنزيل الفعل منزلةَ اللّازم، أي: لتعقلوا وتصبحوا ذَوي عقولٍ، أو لكونه مفهومًا منَ السّياق، أي: تعقلون صدقَ الرّسالةِ والرّسولِ والبعثِ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 58.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 58.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 23.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»